انتقام النسيم

﴿ من أرباب النظيم ﴾

لسعادة سليم بك عنحوري الدمشقي شهرة واسعة في الأدب . فهو شاعر قدير وكاتب مجيد ، وله من الاثار في هاتين الصناعتين ما تناقلته المجلات والصحف العربية من كل مكان . وقد أراد حضرته — وهو نزيل مصر اليوم — ألاّ يحرم الزهور من تغنائه ، فبعث اليها بالمقال التالي ، قال :

لستُ أدري وأبيك ما سرُّ هذه الصحبة القديمة القائمة بين الشعراء والنسيم منذ عهد امرىء القيس فآتياً ، ولا ماهيـة تلك العلاقة الرابطة بين هذه النسمات الرقيقة ، وبين رصفائي امراء الكلام ، فانه لم يكفهم ، وهم أرباب الذوق ، وسادة اللطف ، بل هم وحدهم «الناس» على مذهب شاعر الامير الذي يقول :

جاذبتني ثوبي العصيُّ وقالت أنتم الناس ايهـا الشعراء

أنهم يتنسمون النفحات الهابة من مواطن الاحبة ، فيتبردون بانفاسها التي توليهم طيباً ، وهم يكسبونها من زفراتهم المتوهجة بالوجد شرراً ولهيباً . ولم يرضهم ان يتخذوا النسيم بريداً ورسولاً يحملونه السلام ، ويستقضونه لبانات الغرام ، وهم يكلمونهُ بصيغة الأمر كانهُ بعض الخدّام كما فعل صاحبنا ابن زيدون في قولهِ يتغزل بولاّدة الاندلس

ويا نسيم الصبَّا « بلّغ » تحيتنا من لو على البعد حيَّا كان يُحيينا

بل يعرّضونه بسبب هذه الرسائل السمجة للخزي والطرد والحجاب كما فعل ابن ماني ، بحسب اقراره عن نفسه اذ قال :

حجبوهـا عن الرياح لأني . قلتُ يا ريح بلّغيها السلاما
لو رضوا بالحجابِ هانَ ولكن منعوها عند الوداع الكلاما

فانهُ لولا رسالتهُ تلك ما حجب الرياح أحد عن الاستمتاع بملامسة ذلك المحيّا الفتان ، ولم يقنعهم انهم يبثّون تلك النسمات الشكوى ، فتقاسمهم البلوى ، وتشاطرهم الكمد ، وتعتلّ لاعتلالهم ، وترثي لحالهم ، كما جرى لابن هاني القائل :

ومرَّ بيَ النسيمُ فرَقَّ حتى كأني قد شكوتُ اليه ما بي

اي نعم ، لم يكفهم ولم يغنِهم كل هذا حتى زادوا — على ما اشتهر من رقتهم — غلظةً ، وتمادوا بفضولهم حرصاً وأنانية ، فطفقوا يسومون تلكم النفحات الطيّبات حملَ ما تتقاصر دونهُ همم الرجال وتنوء ببعضهِ قلل الجبال . فقد زيّن ، للوزير مجد الدين الطغرائي ، الغرورُ بما نال من شرف الوزارة ، مضافاً الى مزية اللسن ، وحلاوة النظم ، وشدة العارضة ، أن يسخّر الريح التي يلوح من تضاعيف كلامهِ انهُ طالما استخدمها في قضاء أغراضهِ الغرامية ، وحاجات نفسهِ السرية ، بأن تقيم بين الاصداغ والطرر وتشوشها ، وتنتهز الفضلات ، وتحين الفرص لتحوم حول الثغور وتقبّلها . ثم تسلك بين الأجسام والغلائل ، وتستبضع من ذلك الحانوت الحافل بكل شائقٍ رائق ، ما يطيب بهِ خاطر الوزير ، وترفرف عليهِ أمانيهُ ، ثم تأتيهِ على مهلٍ ، مستترة بأجنحة الليل الهادي ، فتنبههُ من نومهِ اللذيذ الهنيء وتنتفض عليهِ انتفاضاً ، لعل نفحة الطيب المستمدة من ذلك البدن الخصيب الرطيب تقضي لبانات فؤادهِ المعنى الكئيب . وان كنت ،

أيهذا القارئُ اللبيب ، في شكٍّ مما أقول توهماً منك أن رجلاً كالطغرائي الذي يقول

أصالة الرأي صانتني عن الخطَلِ وحلية الفضل حلّتني لدى العطلِ

لهو أعقل وأدهى وأمتن وأرصن من أن يسترسل الى مثل هـذا الهذر والفضول ، فاليك أبياتهُ بحرفها الواحد تقرأها فتزداد يقيناً :

بالله يا ريح ان مُكّنتِ ثانيةً من صدغهِ فاقيمي فيهِ واستتري
وراقبي غفلةً منه لتنتهزي لي فرصةً وتعودي منه بالظفرِ
وباكري وِرد عذبٍ من مقبّلهِ مقابل الطعم بين الطيب والخصرِ
ولا تمسّي عذاريهِ فتفتضحي بنفحة المسكِ بين الوِردِ والصدرِ
وان قدرتِ على تشويش طرّتهِ فشوّشيها ولا تبقي ولا تذرِي
ثم اسلكي بين برديهِ على مهلٍ واستبضعي وانثني منهُ على قدرِ
ونبهيني دون القوم وانتفضي عليّ والليل في شكٍّ من السحرِ
لعلَّ نفحة طيب منكِ نائبةٌ تقضي لبانة قلب عاقرِ الوطرِ

ولقد صار — جنابهُ العالي — مثالاً حسناً جرى عليهِ بعدهُ كثيرون، وفي جملتهم المرحوم فرنسيس مراش الحلبي . بل زاد هذا على طنبوره نغمة اخرى اذ قال :

نسيم الصبا ان سرتِ بين نهودها خذي ليَ عرفَ الياسمين وعرّجي
وان ترفعي ذاك اللثامَ فتلثمي لماها فباللهِ اذكري قلبيَ الشجي

ومن العجيبِ أنَّ أحد هؤلاء المتنطسين تمادى في تحامله ، وزاد في غلوائهِ ، حتى أتهم تلك النسماتِ الطيبات بارتكاب الجنايات اذ قال :

خطراتُ النسيم تجرحُ خدَّيـ ـهِ ولمسُ الحرير يُدمي بنانَهْ

كأنّ الرياح ذات سيوفٍ ورماح ، تجرح من تحبُّ ، وتقتل من تريد بلا حساب ، وما عليها من جناح . بل أضاف بعضهم على ذلك فحسبها ممن يحبلنَ ويلدنَ فقال :

قد رقَّ حتى خلتُهُ بحشى النسيم تخلَّقا

فهل سمعت بربّك أو رأيت مثل هذه الصقاعة والرقاعة ؟ ؟ ؟

والانكى من كل هذا أن تلك الحالة على بردها وثقلها ، وانتقادنا الشديد على أصحابها ، قد لجّ بنا داعي التقليد والحرص على التحدي ، أن نتلبس بها ، ونزاولها فقلنا ، ونحن نتوب الى الله من هذه الوصمة :

يا نسيماً يأوي الغداة جِنانا حُورها العِيْن يستلبنَ الجَنانا
مازَجتْهُ أجسامنـا وهي قَتلى فاستردَّت أرواحها موتانا
وسرى في مسامّ صرعى الغواني فاغتدى الكلُّ نشطاً جذلانا
هل تموَّجتَ فوق سوسَن خدٍّ ضمّ ورداً يجاور الاقحوانا
او لمست النسرينَ حول جبينٍ ألبستـهُ ألبابنـا التيجانا
او تسللتَ بين بُردٍ ونهـدٍ فوق صدرٍ رمّانهُ قد رمانا
اوتطرّقتَ الاعضاد تمشي الهوينا وحللتَ العروش والايوانا
وسرقتَ الشذا المعطّرَ منهـا وانتشقتَ الخزام والسيسبانا
وأتيتَ الرفاقَ تختـال عُجباً ثملاً من أنفاسها نشوانا
تتهادى ما بين نفحِ وطيبٍ صيَّر العقل صاحياً سكرانا ؟
اي وربّي فعلتَ هـذا والاّ من تراه أولاك ما أحيانا ؟

ثم انظر ناشدتك الله الى التحكم البـادئ من شاعرٍ آخر يخاطب نسيماً جاءهُ من نجد :

ألا يا صبا نجدٍ متى جئتَ من نجدِ لقد زدتني واللهِ وجداً على وجدِ

ومَن تراهُ خوّل الشعراءَ هذا الحق فيسألون النسيم كيف راح ، ومتى جاءَ ، ثم يقترحون عليهِ أموراً ، ويتهمونهُ بأمور ، ويعنتونهُ اعناتاً طالما شكا الى الله منهُ في هذا العصر ، عصر الحرية والنور ، وهم عنهُ متغافلون ، وفي طغيانهم مستدرجون . وهل يعجب أهل مصر بعد هذا اليوم — وهي كعبة الشعراء ومنبت البلغاء — أن يأتيهم النسيم في شهر اقريل (نيسان) سموماً ، لا بارداً ولا كريماً ، فيجعل جناتهم جحيماً ، وماء نيلهم حميماً ، وهو موتور من أهل النظام ، مظلوم يطلب الانتقام ؟ ؟

سليم عنحوري

أقوال في المرأة

« المرأة اكمل المخلوقات » كنفوشيوس

« المرأة تعلّمنا الظرف والأدب » ڤولتير

« ليس لروايات شكسبير أبطال بل بطلات » رسكن

« المرأة أفقدتنا الفردوس وهي وحدها قادرة ان تعيدنا اليهِ » هوتير

« تكون المرأةُ على اكملها عند ما تكون على أتمها تأنثاً » غلادستون

« المرأة آخر من بقي عند الصليب ، وأول من أسرع الى القبر » بلريت

« المرأة الجميلة جوهرة . والمرأة العاقلة كنز » سندي

« نجد المرأة في بدء كل شيء » دمرتين

« أعذبُ ما في الحياةِ تحية الزوجة المحبة » ولز

« أيُّ شعرٍ يفوق عَبقي المرأة في السحر » شكسبير

« ان السماء لا تعرف شيئاً أرقّ من قلب المرأة الذي تسكنهُ الشفقة » لوثير